Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية
المجلد12،العدد2
2025

الألغاز الشعبيّة الموجّهة للأطفال
بين مهارة الإلقاء واستدعاء الذكاء

Popular riddles for children
Between recitation skills and intelligence

نبيل حويلي[*(1)]
جامعة الجزائر 2، الجزائر
البريد الإلكتروني: nabil.haouili@gmail.com

تاريخ الإرسال:2025/09/08	تاريخ القبول:2025/12/16	تاريخ النشر:2025/12/26

الملخص:

تقوم هذه الدّراسة على إبراز بعض تصوّرات الإنسان الجزائري للغز، وإظهار بعض ملامح عناصر فلسفته العفوية من خلال ما تبقّى من ممارسات طقسية تتداول أثناء حلقة إلقاء الألغاز حول موقد النارّ أين يجتمع الكبار بهدف تلقين الصغار. يعتبر اللّغز من أبرز الفنون الشعبيّة التي عبّرت عن قيم إنسانية وتاريخية واجتماعية ونفسية، استمدّت مادتها الأساس من عمق الحياة اليومية، ويعتبر كنزا من الكنوز الأدبية والثقافية. قمنا بجمع المادة من منطقتي تيزي وزو وبومرداس بشمال الجزائر، مستعينين بمقاربة أنتروبولوجية وذلك عند قيامنا بعملية المعاينة والوصف والجمع الميداني ورصد المادة الخام من أفواه حامليها، ومن ثمّ المقارنة بين مجموعة من الألغاز والطقوس التي تُمارس، ومن ثمّ تفسير دلالاتها وتحليل أنساقها. وما قدمناه هنا هو محاولة لإلقاء نظرة شاملة للفكر اللغزي الجزائري والكشف عن التواصل الثقافي القائم بين بنيات ومظاهر عناصر هذه الثقافة.

الكلمات المفتاحية: اللغز، الحلقة، الأطفال، الطقوس، المتلقي

الملخص باللغة الأجنبية :

This study is based on highlighting some of the Algerians' perceptions of the enigma and demonstrating certain characteristics of the elements of their spontaneous philosophy through the remaining ritual practices that take place during the episode of the enigma around of the home, where adults gather. with the aim of educating children. Guessing is considered one of the most important folk arts that express human, historical, social and psychological

* نبيل حويلي

values. Its main material is derived from the depth of daily life and it is considered one of the literary and cultural treasures. We collected the material in the regions of Tizi Ouzou and Boumerdes in northern Algeria. We use an anthropological approach when we carry out the process of inspecting, describing, field collecting and controlling the raw material from the mouths of its bearers, then compare a group of practiced mysteries and rituals, and then interpret their connotations. And analyze their models. What we have presented here is an attempt to provide a global vision of Algerian thought and to reveal the cultural communication that exists between the structures and manifestations of the elements of this culture.

Keywords : Riddle, circle, children, rituals, receiver

مقدمة:

يعتبر اللّغز من أبرز الفنون الشعبيّة التي عبّرت عن قيم إنسانية وتاريخية واجتماعية ونفسية، استمدّت مادتها الأساس من عمق الحياة اليومية، ويعتبر كنزا من الكنوز الأدبية والثقافية. وهو شكل من أشكال التعبير في الأدب الشعبي وقديم قدم الأسطورة، وكان يساومها من حيث الانتشار. واللّغز في جوهره استعارة نشأت نتيجة التقدّم العقلي في إدراك أوجه الشبه والاختلاف، كما يحتوي اللّغز فضلا عن ذلك على عنصر الفكاهة الناتجة عن احتواء اللّغز لعنصر المفاجأة، واللّغز يعتمد في الكثير من الأحايين على روافد ومرجعيات متعدّدة، ومنها الأسطورة وذلك في طرح الإشكال وإثارة السؤال وصياغة الاستفسار. هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد ارتبط هذا الشكل باختبار قدرات الإنسان الذهنية لاسيما الأطفال، ففي منطقة القبائل مثلا تُلقى الألغاز ليلا وعند قدوم موعد النّوم، والقصد من ذلك أن يجهد الإنسان جسده وأن يشغل فكره في سبيل إيجاد الحل، فيجلس الأطفال حول موقد النار مشكّلين حلقة يغمرها الدفء والحنان، ويبدأ الكبار بإلقاء الألغاز.

وقد تصاحب عملية إلقاء الألغاز مختلف الإنجازات التي تقوم بها النّساء كالحياكة والنسيج، كما تطرح النساء الألغاز خارج البيت وأثناء عملهن. ونجد تجاوبا فائقا عند الأطفال عند إلقاء الألغاز ممن يحاولون إيجاد الحلّ ليُكافأ وإن تعثّر فإنّ العقاب والعتاب سينزلان عليه، ومن هنا نتساءل عن الدور التربوي الذي تقدّمه الألغاز الشعبية للطفل؟ وعن نجاعتها وفعاليتها في البعد الذهني واختبار قدرات الطّفل؟ وعن طقوس الإلقاء ودورها في تحفيز المتلقّي في تنشيط عقله وبالتالي بلوغ النتيجة المرجوة وهي حلّ اللّغز. وتجدر الإشارة إلى أنّنا قمنا بعملية الجمع الميداني من منطقتي تيزي وزو وبومرداس بشمال الجزائر وجمعنا مجموعة من الألغاز بالدارجة وأخرى باللهجة القبائلية، مستعينين بمقاربة أنتروبولوجية وذلك عند قيامنا بعملية المعاينة والوصف والجمع الميداني ورصد المادة الخام من أفواه حامليها، ومن ثمّ المقارنة بين مجموعة من الألغاز والطقوس التي تُمارس، وتفسير دلالاتها وتحليل أنساقها. وما قدمناه هنا هو محاولة لإلقاء نظرة شاملة للفكر اللغزي القبائلي والكشف عن التواصل الثقافي القائم بين بنيات ومظاهر عناصر هذه الثقافة.

2. اللّغز بين تعدّد المفاهيم وتنوّع المضامين:

تعدّ الألغاز كنوزا إنسانية معرفية تعود إلى أزمنة سحيقة، وتمثّل المأثور من الأشكال الأدبية والتعليمية في الحضارات القديمة مثل المصرية واليونانية والرومانية والفارسية والعربية وأيضا في حضارات شمال إفريقيا التي حُظيت بمثل هذا الشكل من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ودليل على ذلك انتشاره وتداوله في المجتمع القبائلي ولاسيما تعدّد التسميات المرادفة للّغز، فسكان منطقة "عزازقة" بولاية تيزي وزو مثلاً يطلقون عليه تسمية "ثَمْسَفْروثْس"، بينما يطلق عليها أهل "واضية" بتسمية "ثَقَنُوزثْ"، ويُطلق عليه في مناطق أخرى من منطقة القبائل "ثِمْسَعْرَقثْ" ويُعرف في مناطق كثيرة من الجزائر باسم الأحجية وغالبا ما تبتدئ الألغاز الجزائرية بعبارة : "حاجيتك ما جيتك".

1.2 لغة:

جاء في "لسان العرب" "لابن منظور": "فاللغزُ من لَغَزَ، ألْغَزَ في الكلام وألْغَزَ فيه: عمى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره، واللّغزُ في الكلام الملبس، وقد ألغزَ في كلامه يَلْغِزُ إلغازا، إذ ورّ فيه وعرض ليخفي، والجمعُ ألغازٌ، والألْغازُ طرقٌ تلتوي وتشكلُ على سالكها".[1] أمّا معجم العين "للفراهيدي" فقد أخبرنا عن اللّغز قائلا: "اللُّغزُ واللَّغزُ، يعني ما ألْغَزَتْ العرب من كلام فشبهت معناه، واللغزُ والألغازُ حفرة يلغزها اليربوع في جحره يمنة ويسرة يلوذ لها".[2] ويتّضح جليّا ومن خلال التعريفين الذين قمنا بإيرادهما في التدليل على المعنى اللغوي للّغز، نجد إجمالا في الرّأي على أنّ اللّغز يحمل في معناه دلالة التعمية والإخفاء والابتعاد بالشيء عن حقيقته.

2.2 أمّا اصطلاحا:

فيشير الباحث "محمّد عيلان" إلى هذا الشّكل من أشكال التعبير الشعبي بأنّه من الأكثر تداولا في الجزائر ويطلق عليه اسم "الأحجية" أو "لمحاجية"، وهذا بالمناطق الناطقة باللغة العربية الدارجة ويشير إلى أنّه ثمّة أربعة مصطلحات في اللغة العربية ترتبط بمصطلح الأحجية من حيث أنّها تطرح إشكالا يحتاج إلى حلّ وهي: اللّغز والفراسة واقتفاء الأثر والفزورة.[3] ويعرّف الباحث "أحمد بن محمّد الصغير" اللّغز على أنّه: تمويه يكون بإخفاء حقيقة وإظهار خلافها، حاجة من حاجات النّفس البشرية أثناء التعبير، تتموقع حسب الحالة والاستعمال وتصقل بحسب حذاقة الفكر، وإجادته في حكاية الخطاب ومعرفة توظيفه، وقد عرفت الألغاز بأنّها تعمية حقيقة الكلام وإظهار غير ذلك.[4]

وترى "نبيلة إبراهيم" أنّ اللّغز شكل من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، وقديم قدم الأسطورة، وكان يساومها من حيث الانتشار. واللّغز في جوهره استعارة نشأت نتيجة التقدّم العقلي في إدراك أوجه الشبه والاختلاف، كما يحتوي اللّغز فضلا عن ذلك على عنصر الفكاهة الناتجة عن احتواء اللّغز

لعنصر المفاجأة. واللّغز يعتمد في الكثير من الأحايين على روافد ومرجعيات متعدّدة، (ومنها الأسطورة) وذلك في طرح الإشكال، وإثارة السؤال، وصياغة الاستفسار، ومن هذه المرجعيات ما هو أسطوري، إذ إنّه ثمّة مجموعة من الأساطير تحوي على مجموعة من الألغاز، ولعلّ من أمثلة هذا التداخل ما نجده في أسطورة "أوديب" المشهورة حيث كان بعيدا عن أمّه وعن أهله، بعد أن أبعده أبوه عنها وهو طفل صغير وبعد أن أخبره المنجمون على أن طفله هو الذي سيقتله، وعندما يكبر سيتزوّج أمّه. ولما كبر "أوديب" وصار على أشدّه ولم يكن يعرف سوى والديه المتبنيين له، قرّر الفرار من قصريهما واتجه صوب مدينة "طيبة" أين وجد وحشا فظيعا ظلّ يطرح لغزا محيّرا على أهاليها إذ يقول لهم: "ما الكائن الذي يمشي في الصباح على أربع أرجل، وفي الظهيرة على رجلين، وفي المساء على ثلاث أرجل"، ليتعرض إلى الموت كل من أخفق في إيجاد الحلّ، حتى قدم "أوديب" وعثر على الحل لينقذ بذلك المدينة وسائر الأهالي من موت أكيد.[5]

ولقد حاول بعض الأثنوغرافيين والأنتروبولوجيين والباحثين تفسير الألغاز باعتبارها بقايا تحوّلت إلى لعب لبعض أسئلة الحكمة التي كانت تدور في الزمن الماضي، حول أشياء كثيرة وعادات متنوّعة وممارسات دينية، وذلك عن طريق الاختبارات الحكيمة التي نجدها في كتب المعرفة القديمة، وها هو "أندري يولس" (André Jolles) الذي نشر بعض الدّراسات قد حاول إظهار مدى ترابط اللغز بالأسطورة ويرى في ذلك: "أنّ اللّغز هو نظير الأسطورة، فكلا النوعين يستهدفان الوصول إلى المعرفة، وإلى الفهم عن طريق السؤال والجواب"[6]. إذن: فاللّغز يشبه الأسطورة، كونهما يتجهان صوب الهدف نفسه عن طريق السؤال والجواب، ولكن ثمة فرق بينهما هو أن الأسطورة في حدّ ذاتها عبارة عن جواب على سؤال متضمّن فيها، وغير محدّد تحديدا مباشرا في حين أن اللّغز يأخذ شكل السؤال الذي يستلزم إجابة السامع له، ومن ذلك يثبت السامع المجيب من خلال حلّه للغز أنّه أهل للدخول في الجماعة الدّينية أو الرّوحية التي يمثلها أو ينوب فيها السائل.

2.3 اللغز عالمي:

كما أنّ الألغاز تلعب دورا بارزا في حياة البدائيين، لا يقلّ عن دور الطقوس، ومن أمثلة ذلك ما أورده "جيمس فرايزر" (James Frazer) في بحثه الخالد "الغصن الذهبي"، إذ يذكر لنا هذا الباحث الأنتروبولوجي أنّه من عادات أهل قبائل "البانتو" التي تسكن أفريقيا أن ترقص النّساء وهن عاريات مخلّدات بذلك احتفالات سقوط المطر، وهن ينشدن مقاطع يكرّرنها في كل مرّة ويقلن: أُسقطي أيّتها الأمطار، فإذا اقترب إلى المكان أحدهم، ضربناه ويصبنه ويطرحن عليه مجموعة من الألغاز لحلّها. أمّا في قبائل الهند الصينية ولاسيما قبائل دولة "اللاووس" يجتمع أهاليها قبل موسم حصاد الأرز، ويطرحون

بعض الألغاز، وعندما يتمكّن أحد الأهالي من إيجاد الحل، يصيح أحدهم قائلا: "دع أرزنا ينمو في الجبال والسهول".[7] وما يمكن أن نستخلصه من هذه الطقوس أن هذه القبائل تعدّ اللّغز بمثابة تعويذة من أجل الحصول على الخير ومن ثم الحصول على موسم زراعي ناجح يقيهم من شر الجوع والظمأ. ومثل هذه الممارسات يمارسها الشخص الكبير مع الشخص الصّغير، أو الأم مع أبنائها، وهي إخفاء شيء ما وتحفيز الصغار على البحث عنه، وهي لعبة لا طالما يعشقها الصغار، وتعرفها العديد من المجتمعات لعلّها تعبير بصورة أخرى عن محاولة الإنسان دائما إخفاء الشيء المعروف والموجود والتماس اللّذة، أو الترفيه من وراء البحث عنه، والشعور بالفرح والسّعادة عندما يكون قد وجده.

3. الألغاز والطقوس المصاحبة لها:

1.3 طقوس الألغاز بمنطقة القبائل:

لا بدّ أن نشير أوّلا إلى أنّ الراوية شرط أساسي من شروط ممارسة عملية الرواية الشّفوية، وبدونه لا يمكن أن نتصوّر اللّغز أو أن نستمع إليه، كما لا يمكن دراسته وتحليله بمعزل عنه، كما أنّ شخصية الراوي بمختلف أبعادها الجسدية والرّوحية تؤثّر على نوعية استجابات وانطباعات المستمعين، وهناك مقاييس كثيرة تُصنّف الرّواة من المحترفين منهم إلى الهواة، غير أنّ رواة منطقة القبائل تلقّنوا دروس الإلقاء من أسلافهم ودليل ذلك أنّه وحينما ينطلقون في عملية الإلقاء وحولهم الأطفال يقولون كلمات افتتاحية تعوّدوا عليهم مثل: "أمَاشَهُو طَلَّمْ شَاهُو" كما تُردّد نساء أخريات افتتاحيات تختلف من منطقة على أخرى مثل: "أيَا فْروخ فَارَقْ جَهْمُومْ، ما ذْنَكْ أيا مْشُومْ" وحينما تستفسر عن سرّ هذه الكلمات غير المعروفة في البيئة القبائلية فيُقال إننا لا ندري معناها هكذا تردّدها العجائز وأنا حفظتها.

تختلف طقوس أداء الألغاز من بيئة إلى أخرى، ففي منطقة القبائل تلقى الألغاز ليلا وعند قدوم موعد النّوم، والقصد من ذلك أن يجهد جسده وأن يشغل فكره في سبيل إيجاد الحل، فيجلس الأطفال حول موقد النار مشكّلين حلقة يغمرها الدفء والحنان، ويبدأ الكبار بإلقاء الألغاز. وقد تصاحب عملية إلقاء الألغاز مختلف الإنجازات التي تقوم بها النّساء كالحياكة والنسيج، كما تطرح النساء الألغاز خارج البيت وأثناء عملهن، حيث تقول لنا إحدى الرّاويات: "لقد كن قديما، ونحن في مقتبل العمر، نشتغل في الحقول، نزرع ونفلح الأرض ونرعاها، وكن نجعل من الألغاز الأنيس الوحيد الذي ينسينا تعب ومشقّة العمل".[8] كما نجد أيضا ممارسات طقسية أخرى تقام أثناء طرح الألغاز، خاصة عندما يفشل أحدهم إيجاد الحلّ، إذ يتعرّض للعقوبات، ويحمله صاحب اللغز عملا شاقا: كأن يقول له: "أكْسْبِغْ شَبْحا إوَعْلِيثَنْ" بمنى سأحمّلك "شابحا إوعليثن" وهي عجوز مسنّة وكبيرة الحجم، ليطوف بها سبع مرات حول حلقة طرح الألغاز. كما سيحصد المتفوّق على حلوى وفطائر نتيجة اجتهاده وهو الأمر الذي يخلق جوّا من المنافسة بين الأطفال

المشاركين في حلقة الألغاز، بينما سيمرّ الخاسر بفترة محرجة إذ تتساقط عليه الكلمات القاسية في حقّه كأن يُقال له يا أحمق، يا أبله، يا حمار ... ممّا يضطرّ إلى ترك مكانه وهو ينتظر فرصة أخرى للانتقام. ويصل الأمر في بعض الأحيان وأثناء حلقات الألغاز إلى ضرب الطّفل ضربات خفيفة بالحذاء أو بعصا صغيرة على جبهة رأسه، ويفسّر هذا الطّقس بأنّ متلقي الضربة سيستخدم عقله لا محالة في المناسبات القادمة قصد إيجاد النتيجة المرجوة. كما تُلقى الألغاز ليلا أيضا عند قدوم موعد النّوم، والقصد من ذلك أن يجهد الطّفل جسده وأن يشغل فكره في سبيل إيجاد الحلّ.

وعلى الصعيد المحلي دائما، نجد هناك مجموعة من الألغاز والتي وردت في نصوص بعض الأساطير التي انتشلناها من منطقة القبائل، ولاسيما تلك الأسطورة التي تتحدّث عن مصير زواج "ثانينا" (طائر الشاهين) من طائر الباز، بعدما احتكمت إليها كل الطيور لتختار أحدهم زوجا لها، فهي وإن أرادت الجمال لوقع اختيارها على طائر النسر لقوته وصلابته وليس على طائر الباز صاحب اللّون الأسود الداكن. لتختبر ذكاءهما بمجموعة من الألغاز وبأسئلة عن أفضل حجر؟ وأفضل خشب؟ وأفضل يوم؟ فأجابها النسر أن أفضل الأحجار حجر الرحى، وخير الخشب هو خشب البلوط، وخير الأيّام هو يوم العيد، فلم يكن ردّه مقنعا ليجيبها الباز قائلا: إن خير حجر ما بنيت به الكعبة، وخير الخشب ما صنعت به الأقلام وخير الأيام هو ما اجتمع فيه الأهل والأحبة.

ونجد انتشار مثل هذه الألغاز في نصوص الحكاية مثل حكاية الأخوات السبع والمنتشرة في أصقاع كثيرة من منطقة القبائل، إذ قدّ الملك عبر وزيره بيانا يتضمّن لغزا محيّرا وسيكافئ من يجد حلّه بأن يزوّجه ابنته الأميرة، فقال الوزير: "إنّها شجرة تحوي على اثني عشر غصنا، في كل غصن ثلاثون ورقة، وفي كل ورقة سبع وريقات، وفي كلّ وريقة خمسة بذور"، فعجز الجميع باستثناء رجل لقّنته الإجابة ابنته الصغرى التي تعرف بالذّكاء والفطنة وجاء حاملا الجواب: الشجرة هي بمثابة حول/سنة التي تحوي على اثني عشر شهرٍ والغصن بمثابة الشهر الذي يحوي على ثلاثين يوما والورقة بمثابة أسبوع يحوي بدوره على سبعة أيامٍ، بينما تكون الوريقة بمثابة النهار الذي يحوي على الصّلوات الخمس التي يؤديها المسلم يوميا، ليكون جوابه موفّقا وغاية في التألّق والتفوّق والانتصار.

كما نجد ألغازا طويلة تحمل الكثير من المعاني ولعلّ ما يُمكن أن نمثّل به المثال الآتي:

النصّ الأصلي:	**النصّ المترجم:**
أخَّمْ يِوَنْ	إنّها قرية واحدة.
أَقْرَاوْ يَلاَّ.	سكانها في رحاب عامرة.
ألْحَسْ أوْلاشْ	ولا يوجدُ فيها ضجّة.

أَلْمُوثْ ثَلاَّ.	فيها المنية تصيبُ.
ثِمَضْلِينْ أَوْلاشْ.	لكن ليس بها قبور.
أَنَّعْمَا ثَلاَّ.	بها الحنطة والقمح وافر.
ثِسِيرْثْ أَوْلاشْ.	لكن ليس بها مطحنة.

يشير هذا القول السائر الذي وُرد في صيغة لغز شائع يتداوله أهالي منطقة القبائل عن بيوت النّمل المنتظمة، وهو يعيش في كنفها كمجتمع قوي البنية في إتحاده، لا يحدث أيّ ضجّة، ونجد في أنحاء تلك البيوت الأحياء والأموات ولكن لا أثر للقبور، وبها الأرزاق والأنعام وافرة لكن لا وجود للرحى اليدوية التي تطحن الحبوب وتدسّها.

كما نجد ألغازا أخرى تتحدّث عن النّمل كرمز للعمل والنّشاط الجماعي، ويُقال: "أَفُوسْ ذَ-أف أفُوسْ، أعَقَّ أَذْيَوَضْ أرْسُوسْ"، بمعنى: "اليدُّ في اليدّ، الحبة ستصل إلى سوس" وهو لغز شائع في أصقاع القبائل جاء على صيغة مثل يضرب في التعاون والنشاط الذي يقوم به أهالي منطقة القبائل خاصة أثناء تعاونهم في سبيل القيام بأعمال مشتركة في مصلحة القرية أو ما يعرف في المنطقة باسم: "ثِويزا". وفي موضعٍ آخر نجد طقسا آخرا يقام على العروس أثناء زواجها ووصولها إلى بيت زوجها، حيث يقوم شقيق زوجها بربط الحزام (أشدّ ب-أفوسْ) حولها كدلالة على بداية مرحلة جديدة تقوم على خدمة زوجها وأهل بيتها الجدد، فالحزام يرمز إلى العمل، ويُقال حينئذٍ: "تْحَزَّمْ أمْثْوَطُّفْثْ"، بمعنى: "تحزّمت مثل النّملة". ودلالة هذا الكلام هو تشبيه العروس بالنّملة التي عصبت بطنها مثلما هو الحال بالنسبة للنّملة التي يبدو فيها البطن على مستوى الحزام كما لو أنّه سينفصل عن بقية البدن، فالعروس عليها أن تكدّ وأن تشتغل بكلّ تفان وإخلاص في سبيل أن تنال الرضا من قبل أهاليها الجدد، وإذا ناد عليها أحدهم فالإجابة تكون: بنعم، أجل، حاضرة. وتجدر الإشارة إلى أنّ شقيق الزّوج هو الذي يقوم بشدّ الحزام حول المرأة/العروس وهذا نظرا للمكانة الرّفيعة التي يتبوّؤها في المنزل القبائلي وكونه أيضا عمود من أعمدة البيت التي يتكئ عليها لأنّ المجتمع القبائلي مجتمع ذكوري.

هذا وعلى صعيد آخر -وكما بيّن ذلك الباحث "محمد أوسوس"[9]- تظهر النّملة في النّصوص الأسطورية والميثولوجيا القبائلية التي ككائن خيري يساعد الإنسان ويسعى إلى دأب مصلحتهم، فلقد رأينا في الكثير من النصوص التي استعرضها الأثنوغرافي الألماني "ليو فروبينيوس" (Leo Frobenius) كيف أنّ النّملة هي من يسدي النصائح الحاسمة لبني البشر على أساس تلقينهم أمورا يجهلونها، هذا ولقد تحدّثت الدّراسات الأنتروبولوجية أيضا على أنّ الإنسان التقليدي أو نسميه البدائي لم يكن يدرك كيف يعرف طريقة تكديس الأطعمة والأغذية في أماكن معيّنة، إلا حينما شاهد النّمل وهو يحمل الأطعمة

ويخبئها في بيوته، وهنا تيقّن إلى الطريقة المثلى لجمع الأغذية وتكديسها والاستعانة بها في أوقات الحاجة والضّرورة لاسيما أثناء فصل الشّتاء.

هذا ولقد شرحت النملة للإنسان أمورا كثيرة كان يجهلها وهو الأمر الذي ذكره "ليو فروبينيوس" (Leo Frobenius) في سلسلته أين تحدّث عن أساطير لعبت فيها النملة دور أساسي، إذ نجد أنّها أمدّت الإنسان بنصائح قيّمة وفي بعض الأحيان نصائح حاسمة جدّا، مثلما فعلت في نص "الرّجل العملاق وتأسيس البحار والمحيطات" والذي أصيب في إحدى ركبتيه بعدما أصابه عمدا "عزرائيل" وأخذت دماؤه تسيل هدرا على الأرض، لتأتي النملة وتدل عجوز تدعى: "تنزات" على الطريقة المثلى التي تسمح بتوقيف النزيف الدّموي بواسطة جذور نبات النجيل والذي قامت بإعداده وطبخه فوق بخار الماء وطلت به جرح العملاق.[10] ويتّضح لنا من خلال هذا النّص، كيف أنّ النّملة حكيمة جدًّا، وهي بمثابة طبيب وحكيم يُدرك أمور الطّب وذلك حينما وصفت للعملاق الجريح وصفة من نبات النجيل وأوقفت النزيف الدّموي الذي كان يعاني منه.

كما أنّ النّملة لعبت دورا كبيرا أيضا في تلقين الإنسان القبائلي في سبيل إبعاده عن الحياة الوحشية التي كان يعيشها والانتقال به إلى حياة التمدن التي أصبح عليها، وهو الأمر الذي أورده "ليو فروبينيوس" (Leo Frobenius) في نصّه: (la première culture de céréale de blé) أي: "أوّل زراعة للحبوب في العالم"، وفيه نجد الدّور الحاسم الذي لعبته النّملة في سبيل تلقين الإنسان القبائلي أمورا كثيرة تغدو أن تكون أمورا حاسمة جدا في مشواره الطّويل مع الحياة.

كما تظهر علامات تبجيل هذه الحشرة في المجتمع القبائلي في الاحتفالات المخلّدة لاستقبال فصل الربيع إذ تقوم النّساء القبائليات وبالتحديد نساء قرية "شُرفَاء نْ–بَهلُولْ" بتحضير وليمة على شرف النّمل أو ما يُعرف بالمنطقة باسم "أوطوف"، إذ تحضر عجوز البيت مقدارا من الحبوب والبذور والبقول الجافة، وتضعها على مقربة من البيت ليحضر النّمل على شكل وفود وجماعات، ويأخذ الهدية إلى بيوته. والنّمل حشرة مقدّسة يحترمها الإنسان القبائلي ويبجّلها، ويفسّر هذا الطّقس عل أنّ النّمل سوف لن يدخل إلى بيوت النّاس ولن يمسّ غرف الخزائن، وهي غرف يصنعها أهالي منطقة القبائل يخزنون فيها الأنعام والأرزاق كالقمح والشعير والبذور والبقول الجافة والتين اليابس أو المجفف وزيت الزيتون واللحوم المملحة والمجفّفة لأيام الشتاء الباردة، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الطّقس أيضا يمارس في الاحتفالات المخلّدة لدخول فصل الرّبيع وبالتحديد في يومه الأوّل.

2.3 نماذج من الألغاز الشعبية بمنطقة "بومرداس":

ونحن بعمل ميداني قادنا إلى منطقة دلس بولاية بومرداس لفت انتباهنا اختلاف الرواة الذين أدلوا لنا بما يحفظونه من ألغاز شعبية من حيث المصدر والمرجع كقاعدة أساسية تتحكّم فيها قضية الجنس والسنّ. فالمصدر هو الرواية المرأة العجوز، أمّا البقية فغالبا ما يكونون رجالا وشبابا وبالخصوص أطفالا صغار وكلّهم آذان صاغية ويُمارسون عملية الاستماع بغية الحفظ والتذكّر فالممارسة. وحضرنا حلقة ألغاز ممتعة قادتها السّيدة "موهوب فاطمة"[11] أرملة في السبعينات من عمرها وكذا السّيدة "موازي جميلة"[12] وهي جدّة زميل في العمل وهو الأمر الذي سهّل علينا اللقاء والجمع الميداني، ومعهما السّيدة "بركاهم فاطنة"[13] ومعهن أحفادهن وأولاد الجيران وكانت الألغاز ممتعة كما كن يكافئن من نجح في الردّ على الألغاز المطروحة، ولاحظنا أنّهن يبدأن بافتتاحيات غرضها التشويق ولفت الانتباه ومن الألغاز الملقاة ما يلي:

المثال الأوّل: تقول السّيّدة موازي جميلة: "حاجيتك ما جيتك، لولا هوما ما جيتك: بنت أصغر منك وتخبز خير منك"، الحلّ: **"النحلة"**

المثال 2: تقول السّيّدة موازي جميلة: "حاجيتك ما جيتك، لولا هوما ما جيتك: "طق هنا، طق لهيه، طق مور الشعبة ملهية"، الحلّ: **"البرغوث"**

المثال 3: تقول السّيّدة موازي جميلة: "حاجيتك ما جيتك، لولا هوما ما جيتك: "جزت على بيوت، لقيت الرجال يزغرتو والنساء سكوت"، الحلّ: **"الديك والدجاجة"**

المثال 4: تقول السّيّدة موازي جميلة: "حاجيتك ما جيتك، لولا هوما ما جيتك: "أكحل كي اللّيل وما هوش ليل، يدخل للدّار وما هوش فار، ياكل الشعير وما هوش حمار". الحلّ: **"النّمل"**

المثال 5: تقول السّيّدة موهوب فاطمة: بسم الله بديت وعلى نبي صليت، إذا كان الفال فال خير دوروا على اليمين وإذا كان الفال فال شرّ دوروا على اليسار: الأبيض يدرّس، والأحمر يفرّس، والساقية تجري، والبحر يحبس"، الحلّ: **"الأسنان، اللّسان، البلعوم، المعدة"**

المثال 6: تقول السّيّدة موهوب فاطمة: بسم الله بديت وعلى نبي صليت، إذا كان الفال فال خير دوروا على اليمين وإذا كان الفال فال شرّ دوروا على اليسار: "بير فوق بير، وكلّ بير بغطاه"، الحلّ: **"القصب"**.

المثال 7: تقول السّيّدة موهوب فاطمة: بسم الله بديت وعلى نبي صليت، إذا كان الفال فال خير دوروا على اليمين وإذا كان الفال فال شرّ دوروا على اليسار: شهلول بهلول في يد طفلة قويّة، تضربو بالكف، وتُعطيه بالكف، تهبط أدموعُه أسخيَّه"، الحلّ: الغربال

المثال 8: تقول السّيّدة موهوب فاطمة: بسم الله بديت وعلى نبي صليت، إذا كان الفال فال خير دوروا على اليمين وإذا كان الفال فال شرّ دوروا على اليسار: "أبيض رفروف ويشرب الماء كي لخروف"، الحلّ: العجين

المثال 9: تقول السّيّدة موهوب فاطمة: بسم الله بديت وعلى نبي صليت، إذا كان الفال فال خير دوروا على اليمين وإذا كان الفال فال شرّ دوروا على اليسار: "قدو قد إبرة والإبرة قياسو، النّاس تهرب على البلا هو فوق راسو"، الحلّ: عود الكبريت

المثال 10: تقول السّيّدة موهوب فاطمة: بسم الله بديت وعلى نبي صليت، إذا كان الفال فال خير دوروا على اليمين وإذا كان الفال فال شرّ دوروا على اليسار: بن قرماش يا بن قرماش يالسان الفضية عليك الشرق وعليك الغرب وعليك الدّنيامشرية". الحلّ: الملح.

المثال 11: تقول السّيّدة موهوب فاطمة: بسم الله بديت وعلى نبي صليت، إذا كان الفال فال خير دوروا على اليمين وإذا كان الفال فال شرّ دوروا على اليسار: "أيغنّي بلا لسان"، الحلّ: الرّيح.

المثال 12: تقول السّيّدة موهوب فاطمة: بسم الله بديت وعلى نبي صليت، إذا كان الفال فال خير دوروا على اليمين وإذا كان الفال فال شرّ دوروا على اليسار: "دار بلا سقف"، الحلّ: الدّنيا

المثال 13: وتقول السّيدة بركاهم فاطنة أنا كليت الرفيس وهي دات الديس: سلسلة في سلسلة في الجبال مكسلة، فيها خوك وفيها بوك، وفيها سلطان لملوك"، الحلّ: المقبرة

المثال 14: وتقول السّيدة بركاهم فاطنة أنا كليت الرفيس وهي دات الديس: "بابا بنالي دار استعجبت في بنيانها، نحسب نجوم السماء وما نحسبش طيقانها"، الحلّ خلية النّحل.

المثال 15: وتقول السّيدة بركاهم فاطنة أنا كليت الرفيس وهي دات الديس: "بلاطة فوق بلاطة، فربها ولا نضربك بالصباطة"، الحلّ: الرحى اليدوية

المثال 16: وتقول السّيدة بركاهم فاطنة أنا كليت الرفيس وهي دات الديس: "داير كي الجرة، وجلدو كالمعزة" الحلّ: الطبل والبندير

المثال 17: تقول السّيّدة موازي جميلة: "حاجيتك ما جيتك، لولا هوما ما جيتك: "حمامة زرقطية قطعت البحر ولات ليا" الحلّ: الرسالة

المثال 18: وتقول السّيدة بركاهم فاطنة أنا كليت الرفيس وهي دات الديس: "حمر حماير، في السما يطاير، جيت ننقبو نقبتني يمّاه" الحلّ: العنب

المثال 19: وتقول السّيدة بركاهم فاطنة أنا كليت الرفيس وهي دات الديس: "زوج خاوا من بلاد نصارة، وحدة تخدم الربح أو وحدة تخدم الخسارة" الحلّ: الإبرة والمقص

المثال 20: وتقول السّيدة بركاهم فاطنة أنا كليت الرفيس وهي دات الديس: "كرشو حشيش دايرة بيه الرخامة، رجليه في الماء وراسو في جهناما" الحلّ: السّجارة

المثال 21: وتقول السّيدة بركاهم فاطنة أنا كليت الرفيس وهي دات الديس: "وصيف معلّق من صرتو" الحلّ: حبة الزيتون الأسود

المثال 22: تقول السّيّدة موازي جميلة: "حاجيتك ما جيتك، لولا هوما ما جيتك: "مدينتنا الخضرة، سكانها عبيد تتكسر بالقدرة وتتحل بالحديد"، الحلّ: البطيخ (دلاع)

المثال 23: تقول السّيّدة موازي جميلة: "حاجيتك ما جيتك، لولا هوما ما جيتك: "أنثى وذكر ما خلاو جرة، الذكر حلو ولنثى مرّة"، الحلّ: السكر والقهوة.

المثال 24: تقول السّيّدة موازي جميلة: "حاجيتك ما جيتك، لولا هوما ما جيتك: "عجوزة مكمشة حرمتني من العشا" الحلّ: فلفلة حارة.

المثال 25: تقول السّيّدة موازي جميلة: "حاجيتك ما جيتك، لولا هوما ما جيتك: "فاطمة بلقاسم في الجبل تقاسم فتحت حزامها ترتقوا عظامها" الحلّ: البندقية

4. خاتمة:

وصفوة القول إنّ الألغاز الشعبيّة تمثّل شكلا من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ولها مكانتها المميّزة بين فنون التعبير الشعبي، والتي تتوسّل باللّغة لكي تبلغ مقصودها، ولغة الألغاز لغة خاصة، تقدّم معرفة تنتمي لعالم مغلق، تمتلكها الجماعة لحمل أواصر أسرارها، ويعبّر عن رؤيتها للحياة وبالتالي بالعلاقات الإنسانية. واللّغز يعتمد في الكثير من الأحايين على روافد ومرجعيات متعدّدة، ومنها الأساطير والحكايات الشعبية وكذا القصص وذلك في طرح الإشكال، وإثارة السؤال، وصياغة الاستفسار. هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد ارتبط هذا الشكل باختبار قدرات الإنسان الذهنية لاسيما الأطفال الذين يسعدون كثيرا أثناء حلقات إلقاء الألغاز من قبل أشخاص لديهم تجربة طويلة في الحياة يقدّمونها للصغار بغية الاحتفاظ بها وبهذا الإرث العريق ليكونوا خير خلف لخير سلف.

5. الإحالات:

[1] ابن منظور، جمال الدين، 1992، لسان العرب، ج7، بيروت، لبنان، دار ناشرون، ط3، ص415-416.

[2] الخليل بن أحمد، الفراهيدي، 1998، معجم العين، تحقيق: فهد المخزومي، بغداد، العراق، دار الرّشيد، ص383.

[3] ينظر: محمّد، عيلان، 2015، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، الجزائر، دار الاختلاف، ط2، ص95.

[4] نبيل، حويلي، 2023، محاضرات عامة في الأدب الشعبي ، برج بوعريريج، الجزائر، دار خيال، ص81.

[5] ينظر: نبيلة، إبراهيم، 1992، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مصر، دار غريب، ط3، ص191-195.

[6] André Jolles, 1989, Formes simples, Tr : Antoine Marie Buguet, Paris, Ed : Seuil, p103.

[7] ينظر: جيمس، فرايزر، 2014، الغصن الذهبي: دراسة في السّحر والدّين، تر: نايف الخوص، بيروت، لبنان، دار فرقد، ط3، ص154.

[8] رواية السيّدة: سعدية، حويلي، السن: 66 سنة، ربّة بيت، قرية الشرفاء، بلدية عزازقة، بتاريخ: 2022/05/11.

[9] ينظر: محمّد، أوسوس، 2008، كوكرا في الميثولوجيا الأمازيغية، الرباط، المغرب، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ص131-133.

[10] ينظر: ليو، فروبينيوس، 2020، أساطير قبائلية في خلق الكون وتصوّر العالم، تر: نبيل حويلي، تيزي وزو، الجزائر، دار الأمل، ص79-80.

[11] السّيدة موهوب فاطمة، أرملة وربّة بيت، 76 سنة، مدينة دلس، ولاية بومرداس، 2019/04/21.

[12] السّيدة موازي جميلة، 79 سنة، بلدية أيت عريف، دائرة دلس، ولاية بومرداس، 2019/04/21.

[13] السّيدة بركاهم فاطنة، أصلها من سيدي بلعباس، ربّة بيت، 67 سنة، دلس، ولاية بومرداس، 2019/04/21